

# النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة نحو نموذج نظري جديد

د. محمد بيومي\*

## الملخص

رغم التطورات التي توصلت إليها النظرية الاجتماعية وطرحها لنظريات معاصرة متوسطة المدى، ونماذج نظرية متنوعة شكلت فيما بعد ما يسمى بنظرية العولمة، إلا أن حركة تطور الواقع الاجتماعي العالمي والكوني وما به من تفاعلات حضارية معاصرة صارت أسرع من حركة التطور الفكري للنظريات الاجتماعية. ومن ثم أصبح على النظرية الاجتماعية أن تقدم تحليلاً وتفسيراً لهذه التفاعلات وما ينتج عنها من قضايا اجتماعية من خلال رؤى وافتراسات نظرية جديدة. وبناء على ذلك؛ حاولت الدراسة الراهنة استقراء موقف النظرية الاجتماعية من الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة من خلال دراسة وتحليل تراث وآدبيات علم الاجتماع المرتبط بهذه الإشكالية، معتمداً على المنهج التحليلي التاريخي الوثائقي؛ بهدف الكشف عن موقف النظرية الاجتماعية من القضايا الاجتماعية لتلك التفاعلات المعاصرة. وتوصلت إلى عدم ملائمة آراء رواد علم الاجتماع الكلاسيكي لتحليل وتفسير قضايا التفاعلات الحضارية المعاصرة. وضعف موقف النظرية الاجتماعية والمنشغلين بها؛ من تلك القضايا في الأدبيات السوسيولوجية العربية. وخلصت الدراسة إلى مقترح نموذج التفاعلات الحضارية كنموذج نظري جديد؛ يمكن الاسترشاد به في تحليل وتفسير قضايا التفاعلات الحضارية بعصر ما بعد العولمة.

## الكلمات المفتاحية:

النظرية الاجتماعية، نموذج نظري، التفاعلات الحضارية.

---

\* محمد بيومي، أستاذ علم الاجتماع المساعد بجامعة الشارقة، وجامعة عين شمس.

## **Social Theory between Traditional Views and Contemporary Civilizational Interactions: Towards a New Theoretical Model**

**Dr. Mohamed Bayoumy**

### **Abstract**

This paper argues that theories of classical sociology are no longer reliable for the analysis and interpretation of the issues of contemporary civilizational interactions because they do not provide an appropriate rational dealing with these issues. The reason behind this is the rapid development of social reality and its transition from the state of nationalism to global, but there is also an absence of serious scientific attempts to address these issues by the sociologists. In contrast, in other fields such as political and religious sciences, for instance.

The paper concludes that the area of civilizational interactions can serve as a fertile ground for sociology in general and social theory in particular. The proposed model can serve as a theoretical model to deal with theoretical and empirical issues, theoretical and applied functions, and processes of construction, organization, and derivation. It

can also be used to guide us when studying and analyzing the issues of contemporary civilizational interactions. Finally, the paper suggests that researchers and specialists in sociology can benefit from non-traditional perspectives for the development of theoretical and applied scientific studies.

**Key words:**

Social Theory, Civilizational Interactions, New  
Theoretical Model.

## المقدمة:

أصبحت التفاعلات الحضارية آلية أساسية في الوقت الراهن لدعم الاتجاه إلى وحدة القرية الكونية، أو كما يراها البعض إيديولوجية جديدة في عصر انتهاء الإيدولوجيات، ويرجع ذلك إلى تراجع دور الدولة القومية، وظهور النظام العالمي الأحادي القطب، وبروز ظاهرة العولمة بكل تجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية، وما أحدثته من انقلاب في أوضاع المجتمعات المعاصرة، وما أثارته من خلافات عميقة بين الساسة والمفكرين، حول قيم العولمة، و توجهاتها، وآثارها السلبية على أوضاع البشر، وبخاصة في دول الجنوب، حيث شكل كل ذلك الظروف والعوامل التي فتحت الطريق لضرورة قيام التفاعل والحوار بين الحضارات (يس، ٢٠٠٤، ٢٥-٢٨). واحتلت قضايا حوار وصراع الحضارات مكان الصدارة في قائمة الاهتمامات الفكرية لعلماء السياسة ورجال الدين والعديد من مراكز البحوث والدراسات، والمؤسسات الدولية، وعدد قليل من علماء الاجتماع، وأكد على ذلك البحوث التي قدمت في مؤتمر "أوروبا - العالم" الذي عقد في لشبونة عام ١٩٩٠، حيث طُرحت تساؤلات كثيرة حول شروط التفاعل الحضاري وآليات تنفيذه، كما أكدت على التفاعل والحوار ستلحق بهما تغيرات كبرى في عصر العولمة أو بمعنى أكثر تحديداً في عصر ما بعد العولمة (النشار، ٢٠٠٢، ٣٧٩-٣٨١). انطلاقاً مما سبق أمكن طرح تساؤل: ما موقف النظرية الاجتماعية من هذه التفاعلات الحضارية الراهنة؟ وهل ستصبح التفاعلات الحضارية موضوعاً أو مجالاً لعلم الاجتماع والنظرية الاجتماعية؟ في عصر ما بعد العولمة. بناء على ذلك تم دراسة هذا الموقف، وإجراء محاولة علمية نوضح من خلالها مكونات وعمليات بناء نموذج التفاعلات الحضارية كنموذج نظري توجيهي جديد.

## أولاً- موضوع الدراسة وأهميته:

يعد بناء النظرية الاجتماعية واكتمال تأسيسها دلالة على النضج واكتمال النظام العقلي الذي تنتمي إليه (ليلة، ٢٠٠٥: ٨٣)، لأنها هي التي تتولى ترشيح حركة العلم، من حيث

انتقاء المشكلات التي ينبغي دراستها وتحليلها والتصدي لها في الواقع الاجتماعي. (Wallace & Alison, 2005:30-31) وكلما تحرك الواقع وطرح متغيرات وقضايا جديدة ازدادت النظريات تحلفاً عن متابعة حركته وإدراك تطوره. وارتباطاً بذلك تشهد النظرية الاجتماعية خلال العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين حواراً لم ينقطع وجدلاً لم ينته؛ حول مدى كفاءتها التفسيرية والوظيفية، وشكك في قدرتها على إدراك الواقع الاجتماعي الجديد؛ بما فيه من قضايا اجتماعية وتفاعلات حضارية جديدة تحتاج إلى تأمل جديد من خارج مسلماتها ومقولاتها الكلاسيكية؛ فالواقع العالمي الجديد الذي يحيط بنا، يشهد تفاعلات وتحولات جديدة، يستند إلى ثوابت غير الثوابت التقليدية، وينتج تكوينات وظواهر جديدة ليس لها موضع على خريطة التصورات والرؤى التقليدية للتنظير السوسولوجي.

وإذا كان "تالكوت بارسونز" قد أكد على النسق الاجتماعي كمرجعية واقعية أو التصور النظري له كإطار للتفسير، فإننا ندرك الآن أنّ الواقع القديم، أو الأطر التصويرية المرتبطة به لم تعد كافية أو قادرة على فهم ما يحيط بنا من أبنية أو ما يحدث في إطارها من تفاعل. وعليه فإنّ النظريات الكبرى كالكونتية والدوركية والماركسية والفيبرية، كل هذه النظريات ومقولاتها لم تعد تناسب النظام العالمي الجديد بشقيه الواقعي والافتراضي. الأمر يحتاج إذاً إلى مراجعة جذرية للتنظير السوسولوجي، ولإدراك الواقع من جديد على السواء (جولدنر، ٢٠٠٤: ٥٩٠-٥٩٣).

استناداً إلى ذلك ذهب "ألبرو" إلى القول بأنّ التصور التقليدي للنسق الاجتماعي القومي لم يعد كافياً، ولا حتى مقنعاً، كما أعلن أن خطأ هذا التصور هو: إنه حدد المجتمع بحدود الدولة القومية، كما أكد ذلك رواد التحديث ابتداءً من "تالكوت بارسونز" حتى "والتر روستو"، إن هذا النسق لم يعد له وجود محدد الملامح فنحن نعيش على ما يؤكد "جيدنز" في مجتمع كوني متخل عن الروابط القومية؛ ومن ثم فنحن لا نستطيع أن ندرك كل المعاني المتدفقة لتنظيم حياتنا اليومية، أو القوى التي لها تأثير فينا بدون أن نأخذ في الاعتبار

## النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة

التحولات والتنظيمات والعلاقات التي تمتد إلى ما وراء حدود المجتمع القومي الذي نعيش فيه، أو بالأحرى وضع التحولات العالمية والكونية التي تحيط بنا في الاعتبار، والتي كان لها دور في تآكل حدود النسق القومي (جيدنز، ٢٠٠٢: ١٨٧-١٩٠).

ومن ثم فإن تحديث هذا المجتمع القومي وتطويره لم يعد شأنًا تقليدياً ولا قومياً، تقوم به الدولة ومؤسساتها التقليدية لصالح مواطنيها، فالتحديث الآن تتولاه الشركات متعددة الجنسيات، تساعدنا هيئات دولية عديدة، وقدرة الدولة على إصدار قرارات التحديث لم تعد مطلقة، فهناك فاعلون آخرون يشاركون في القرار، ولا يتجه التحديث إلى تطوير الداخل فحسب، بل يهتم بضرورة أن يتكامل هذا التطوير مع ما يحدث خارج الحدود (تارنزر، ١٩٨١: ٢١٠-٢١١).

يبدو مما سبق أن تصور النسق القومي "الدولة القومية" باعتباره نسقاً يحافظ على بقاءه داخل حدوده وبالآليات الملائمة، قد انتهى عصره، وأنا اليوم أمام نسق فاقد الحدود، تتفاعل على ساحته المتغيرات الخارجية والداخلية على السواء، الظواهر التي تظهر في إطاره قد تحمل بعض صفاته غير أنها تتأثر بالتأكيد بطبائع خارجية غريبة عليه، نسق تسيطر عليه حالة من التدفق الشامل - الذي يعمل على تشكيل التفاعل على الصعيد العالمي والمحلي على السواء - للمعلومات عبر الحدود من خلال الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات، أو للبشر من خلال تدفق موجات الهجرة التي تنطلق من كل مكان وإلى كل مكان، أو تدفق السلع عبر الأسواق وبلا معوقات (جلبي و خميس، ٢٠١١: ١٠-٥٠)، إضافة إلى تدفق تأثير الأحداث التي تنطلق من كل مكان، هذه التدفقات والتحولات تحدث بكثرة وبصورة متزايدة، بحيث يستعصى على الدولة القومية أن تتحكم في منع دخولها إلى إقليمها، واستمرار هذا الوضع يعني تقلص فاعلية الدولة القومية وقدرتها على مواجهة هذا التدفق وإسقاط حدودها أو إضعافها، ومن ثم الاتجاه إلى خلق حالة من التجانس العالمي المحلي (Krugman & Venables, 1995:858- 865).

يتضح مما سبق أن تراجع النسق القومي أصبح واضحاً ومحدداً، في حين نجد على الجانب الآخر بزوغاً للعالمي والكوني والمحلي وتفاعلات اجتماعية وحضارية تحددها عوامل القوة المعرفية والاقتصادية والعسكرية، ومن ثم كان لهذه الأحداث والتغيرات أثر في تغيير الإطار المرجعي للنظرية السوسولوجية في عصر العولمة، وما بعد العولمة وبدأت تظهر أزمة حقيقية في التنظير الاجتماعي، أزمة اختيار أو تحديد إطار مرجعي للنظرية السوسولوجية.

وبتتبع تاريخ نشأة وتطور النظريات الاجتماعية نجد أنها اهتمت بتحليل وتفسير التكوين الاجتماعي الاقتصادي والأيدولوجي، وما كان يحدث فيه من اضطرابات اجتماعية مادية وغير مادية للدولة القومية، حيث كانت القومية فكرةً أو مفهوماً من أهم القوى والعوامل تأثيراً على الخريطة السياسية للعالم.

ومع تطور النظرية الاجتماعية التقليدية إلى النظرية الاجتماعية المعاصرة بنماذجها النظرية الخمسة: (الوظيفية - التبادل الاجتماعي - الفينومينولوجيا - الإثنوميثودولوجيا - والتفاعلية الرمزية)، (Mitchell & Cropanzano, 2005:875-877). والاتجاهات الحديثة كمدرسة التحديث ومدرسة التبعية، إضافة إلى ذلك فكرة القومية، وبروزها في الخمسينيات والستينيات في القرن العشرين وتحولها نظراً للتحول العالمي الشامل Globalization - Transformation إلى إشكالية أو قضية في الآونة الأخيرة.

ومع بداية عقد التسعينيات في القرن العشرين والحديث يدور عن ذلك التحول العالمي الشامل (العولمة) في كل أنحاء العالم وعلى كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وربما بين كل الفئات، ومن ثم نجد تساؤلات مشروعة تطرح نفسها عن طبيعة العولمة، وعن كيفية التعامل مع إفرازاتها الأيدولوجية ونتائجها وقضاياها الاجتماعية المتباينة، وعليه هل النظريات الاجتماعية التقليدية لاتزال ملائمة لتحليل وتفسير تلك التحولات؟ أم أصبح من غير الممكن فهم التحولات التي حدثت على كافة الأصعدة؟ وما يحدث فيها من تطورات متلاحقة دون الرجوع إلى ظاهرة العولمة Globalization Phenomenon، أو نظرية

النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة  
العولمة Globalization theory كما يحددها (Cole, Cole, Nickilisa  
(2017)، التي أدت إلى ظهور اتجاهين متضادين هما:

**الأول:** اتجاه يدعو إلى التفكيك، أو بمعنى وحدات التحليل تصبح هي الوحدات الأقل من النسق القومي، أو بالأحرى تصبح وحدة التحليل هي النسق المحلي.

**الاتجاه الثاني:** الاتجاه نحو التحليل على مستوى النسق العالمي على اعتبار أن العالم أصبح يشكل قرية كونية واحدة متماسكة "اتجاه التجميع" (أمين، ٢٠٠٠: ٢٥).

ومن ثم أصبح الموقف شديد التعقيد على النظرية الاجتماعية في الحقبة المتأخرة. ليس هذا فحسب بل والمعاصرة أيضاً، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى:

- ضعف وتآكل الدولة القومية وحدودها.
- تآكل الحدود الثقافية للنسق القومي.
- تقوية النزعة العالمية والمحلية، وضعف الاهتمام بالجانب الإقليمي والجانب القومي.
- صعوبة الفصل بين ما هو داخلي وما هو خارجي، بين ما هو محلي وما هو كوني.
- الاهتمام المتزايد بالعولمة.
- التحرك نحو ثقافة عالمية، ونحو إنسان عالمي وكوني.

كل ذلك أدى إلى ظهور عمليات وقضايا اجتماعية جديدة متباينة، وملائمة للنسق العالمي لتحل محل الأنماط التقليدية، وبدأت تظهر المفارقة بين الواقع والمعالجة النظرية، حيث كانت النظرية الاجتماعية تعالج مشكلات وقضايا في مرحلة الحدائة، أصبحت غير موجودة في طور النسق العالمي أو بالأحرى في ظل العولمة؛ إذ ظهرت عمليات وقضايا اجتماعية جديدة على الجانبين المادي وغير المادي؛ ومن ثم أصبح على النظرية الاجتماعية أن تقدم تحليلاً وتفسيراً لها من خلال رؤى وافتراضات نظرية جديدة، وبالفعل طرحت نماذج نظرية



جديدة مثل مدخل الثقافة العالمي، ومدخل النسق العالمي والمدخل الكوني وشكلت هذه النماذج فيما بينها جسراً للعبور إلى ما يسمى الآن بنظرية العولمة.

وبالرغم من ذلك فإنّ الواقع الاجتماعي المتجدد يؤكد على قصور النظرية الاجتماعية لعلم الاجتماع في تفسير القضايا الاجتماعية الناتجة عن التفاعلات الحضارية المعاصرة، ومن ثم على النظرية الاجتماعية أن تقدم حلولاً أو نماذج نظرية جديدة لعاملين:

الأول: تطور النسق الاجتماعي وتجاوزه لنسق الأفكار القائم، وطرحه لمتغيرات واقعية جديدة أثبتت تخلف بعض التصورات النظرية وبخاصة الكلاسيكية منها عن متابعة تفاعلات النسق الاجتماعي وعجزها عن تقديم حلول ناجحة لمشكلات الواقع الاجتماعي، ويؤكد "على ليلة" بأن التطورات الواقعية ستصبح ظرفاً ضاغطاً يفرض ضرورة تجديد نسق الأفكار حتى يصبح متلائماً مع احتياجات التفاعل الواقعي داخل النسق الاجتماعي. العامل الثاني: إدراك الفكر لحالة تخلف النسق الاجتماعي ومن ثم يتولى نقده، تمهيداً لدفعه إلى التطابق مع نموذج ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع. بناء على ذلك يكون الفكر رجعيّاً بالنسبة للمجتمع في الحالة الأولى، بينما يكون في الحالة الثانية نقدياً (ليلة، ٢٠٠٦: ١٠).

#### بناء على ما سبق تبدى أهمية هذه الدراسة في الجوانب التالية:

- ١- كونها تتناول موضوعاً على قدر كبير من الأهمية، فهي تتناول موقف النظرية الاجتماعية من قضايا التفاعلات الحضارية المعاصرة.
- ٢- تحاول الدراسة الوصول إلى مجموعة من المفاهيم والقضايا الخاصة بالتفاعلات الحضارية، والتي يمكن أن تقدم إضافة إلى النظرية الاجتماعية وتفتح آفاقاً جديدة للبحث العلمي في علم الاجتماع.
- ٣- من المتوقع أن تلفت نتائج هذه الدراسة نظر الباحثين بحقل علم الاجتماع بأنّ هناك مجالاً بحثياً غير تقليدي هو مجال التفاعلات الحضارية. به قضايا وحقائق اجتماعية همة تحتاج إلى معالجات نظرية وتطبيقية.

- ٤- تقدم الدراسة مقترحاً نوضح من خلاله مكونات وعمليات بناء النموذج النظري.
- ٥- تقدم هذه الدراسة نموذج التفاعلات الحضارية كنموذج نظري توجيهي قد يمدنا بالتفسيرات والتقديرية المبدئية القابلة للاختبار والتي من الممكن أن تشكل جسراً لبناء نظرية علمية جديدة في علم الاجتماع يكمن تسميتها بنظرية التفاعلات الحضارية.

### ثانياً- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

رغم التطورات التي توصلت إليها النظرية الاجتماعية وطرحها لنظريات معاصرة متوسطة المدى، ونماذج نظرية متنوعة شكلت فيما بعد ما يسمى بنظرية العولمة، إلا أن حركة تطور الواقع الاجتماعي العالمي والكوني صارت أسرع من حركة التطور الفكري للنظريات الاجتماعية، نظراً لأن البحث في مجالها ليس أمراً يسيراً، وعلاوة على صعوبة وغموض مفاهيمها، تبرز في معظم الأحيان مشكلات معرفية يلمسها كل مهتم وقارئ للنظرية الاجتماعية وبخاصة في السوسيولوجيا العربية، فلا نزال في حقل علم الاجتماع العربي - طلاب الدراسات الجامعية والدراسات العليا، وحملة الماجستير والدكتوراه، وصغار الباحثين الأكاديميين- بعيدين عن حركة التنظير السوسيولوجي الأمر الذي ولّد لدينا مشكلات حمة في علاقتنا مع النظريات الاجتماعية ومحاولة تطويرها، أو حتى كيفية توظيفها، وتظهر هذه الإشكالية بوضوح في مؤلفات النظرية العربية، وتعبّر عنها الدراسات والبحوث الإمبريقية أدقّ تعبير؛ فغالباً ما تستخدم في البحث ورسائل الماجستير والدكتوراه دون إدراك المقصود منها، وإذا كان المقصود مدركاً وميسراً، يكون توظيفها أمراً ليس سهلاً.

وأصبح الأمر أكثر تعقيداً في عصر ثورة المعرفة والاتصالات الكونية السهلة التي أدت إلى فناء عاملي المكان والزمان وتلاشت معهما مفاهيم وقضايا وحدود الدولة القومية (Abbate, 2001:20) الإطار المرجعي للنظرية الاجتماعية في مرحلة الحداثة، ولا ريب لتغير الحياة الاجتماعية والواقع الاجتماعي نتيجة ثورة المعلومات والاتصالات مثلما تغيرا

أثناء الثورة الصناعية. ومثلما أتت ثورة الإنترنت بمنافع وفوائد اجتماعية عظيمة فإنها أيضاً أزاحت الناس عن أماكنهم، وغيّرت عادات الكثير من الأفراد والجماعات (Cairncross, 2001: 40-44)، وزادت من حدة التفاعلات الحضارية بين الأفراد والجماعات والدول والحضارات (ما يحدث على ساحة العالم العربي أصدق دليل) وأسفر عن هذه التفاعلات مشكلات وقضايا اجتماعية حمة تحتاج إلى معالجات فكرية ونظرية جديدة من خارج إطار المسلمات الكلاسيكية.

ارتباطاً بما سبق فإن موقف النظرية الاجتماعية من تلك التفاعلات الحضارية وحقائقها المعاصرة في الأدبيات السوسولوجية العربية لم يأخذ حقه من الدراسات والبحث، فعلى حد علم الباحث لا توجد محاولات علمية جادة لدراسة هذه الإشكالية في الدوريات العلمية للتعرف على طبيعة هذا الموقف. وقد لوحظ ندرة في الدراسات -العربية والغربية على حد سواء- المنشورة التي تتناول موقف النظرية الاجتماعية من قضايا التفاعلات الحضارية المعاصرة سواء أكانت معالجات فكرية ونظرية، أو حتى معالجات نظرية تطبيقية. بناء على ذلك، يمكن صياغة مشكلة الدراسة الراهنة في التساؤل الرئيس الآتي:

ما موقف النظرية الاجتماعية من قضايا التفاعلات الحضارية المعاصرة؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، أحاول الإجابة عن التساؤلات الفرعية الآتية:

- ١- هل يمكننا الاعتماد على الرؤى والمقولات الكلاسيكية للنظريات الاجتماعية في دراسة التفاعلات الحضارية المعاصرة ومعالجة قضاياها الاجتماعية؟
- ٢- هل قدم المهتمون بالنظريات الاجتماعية تصورات ومعالجات فكرية جديدة لتلك التفاعلات وقضاياها المتنوعة؟
- ٣- هل نستطيع من التصورات والمعالجات الفكرية التي قدمها المهتمون بالدراسات الحضارية من المرحلة الكلاسيكية وحتى الآونة الراهنة، بناء نموذج نظري جديد

النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة

نستطيع الاسترشاد به في دراسة التفاعلات الحضارية المعاصرة ومعالجة قضاياها؟ وهل

يمكننا تسميته بنموذج التفاعلات الحضارية؟

٤- ما الأسس والآليات اللازمة لبناء نموذج التفاعلات الحضارية؟

٥- ما التحديات النظرية والتطبيقية لبناء هذا النموذج؟ وما القضايا التي سيقوم

بمعالجتها؟

ثالثاً- الإطار التصوري للدراسة:

انطلاقاً مما سبق تتضمن الدراسة الراهنة عدة مصطلحات يمكن تحديدها في الآتي:

١- النظرية الاجتماعية:

بعد الاطلاع على التراث النظري للنظريات الاجتماعية تبين وجود تعريفات متنوعة، حيث عرفها رالف دارندروف Dahrendrof بأنها: مجموعة من المفاهيم المترابطة بشكل متناسق، مكونة قضايا نظرية تهتم بشرح قوانين ظاهرة اجتماعية معينة تمت ملاحظتها بشكل منتظم، وصيغت بشكل منطقي على شكل قضايا مترابطة ومستخلصة الواحدة من الأخرى، أو هي مجموعة قوانين يستخرج منها سلوك وتفكير الناس من واقعها الحقيقي (Dahrendrof, 1968: 93). بينما عرفها جوزيف هايمس بأنها مجموعة مفاهيم مترابطة بشكل متسلسل ومنظم هدفها بلورة قوانين الظاهرة المدروسة، أو مجموعة من القضايا المترابطة بشكل منطقي لتوضيح جزء من الواقع (Himes, 1968:12). بينما يراها ديفيد دريسلر مجموعة ملاحظات دقيقة مترابطة بشكل متسق متضمنة تفسير وتحليل علاقة الأحداث والوقائع الاجتماعية فيما بينها وتعكس في نفس الوقت قدرة المنظر على التنبؤ الاجتماعي (Dressler, 1973:29).

أما "فلفريدو باريتو"-المذكور في (Dixon,1973) -فيرفها بأنها مجموعة من الاحتمالات التي تعكس بناء العقلية البشرية التي توضح قدرة الإنسان على صياغة قوانين خاصة بالتفاعل الاجتماعي المبني على العاطفة والمبرر عقلياً (Dixon, 1973:31). بينما

أكد "جورجن هابرماس" بأنها عملية ثنائية تنحصر بين بنائها الميكلي وواقع دراستها وبذلك يتطلب من النظرية أن تكون وحدات بنائية دقيقة ومتلاحقة وفي الوقت ذاته تعكس جزئيات واقع الدراسة (Habermas, 1973:2). بينما يراها "سمير نعيم" نسقاً من المعرفة المعقدة تفسر الجوانب المختلفة للواقع وهي تمثل أعلى درجة من درجات التجريد والتعميم في العلم وتفسر النظرية القوانين تماماً مثلما تفسر القوانين الوقائع facts التي تمت ملاحظتها وتوجد العلاقة بينها (نعيم، ١٩٩٣: ٢٩). وعرفها "علي ليلة" بأنها بناء يتشكل من مجموعة قضايا تتسق فيما بينها اتساقاً منطقياً، بحيث تشكل في مجموعها تصوراً للواقع الاجتماعي (ليلة، ٢٠٠٥: ٤٧).

ومما سبق يتضح عدم اتفاق المنظرين على تحديد تعريف محدد أو بالأحرى تعريف موحد للنظرية الاجتماعية فنجد من يبدأ بالاستدلال والاستقراء، أي: يبدأ من الجزئيات لكي يصل إلى الكلّيات، ومنهم من يبدأ من الكلّيات لينتهي بالجزئيات، أي يبدأ بالاستنتاج، ومن تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين تلك التعريفات، يمكن تعريف النظرية الاجتماعية: بأنها مجموعة من التصورات الفكرية والمفاهيم والقضايا والافتراضات (الاستدلالية أو الاستنباطية) والقوانين المتحددة والمترابطة ترابطاً منطقياً بشكل منسق متضمنة تفسيراً وتحليلاً للوقائع الاجتماعية التي تمت ملاحظتها داخل البناء الاجتماعي والتي تعكس قدرة المنظر على التنبؤ. وانطلاقاً من هذا التعريف من الضروري توضيح بعض المفاهيم النظرية الأخرى التي قد تختلط بها أو تتداخل معها، كالنموذج والنموذج التوجيهي، والإطار التصوري.

## ٢- نموذج:

ورد معنى نموذج في المعجم الوسيط مُوَدَج: (اسم)، وجمعه: مُوَدَجَات ومَمَادِج.

**والمُؤَدَجُ:** مثال الشيء، أمودج، مثال يُقتدى به، أو مثال يُعمل عليه الشيء، أو هو تمثيل لنظام أو عملية أو خدمة تكنولوجيا معلومات أو عنصر تهيئة أو غيرها يستخدم للمساعدة في الفهم أو التنبؤ بالمتغيرات المستقبلية.

ويعرف أديباً بأنه نظام تصوري يحدد إذا ما تفاعلت وترابطت مجموعة من العناصر والعوامل الواضحة والمحددة بطريقة محددة، فإن ناتجاً معيناً يصبح متوقفاً، والنموذج ليس أكثر من تفسير، إلا أنه يختلف عن التفسيرات المتعلقة بموضوعات خاصة، نظراً لأنه مصاغ في مفاهيم ومصطلحات أكثر وضوحاً وعمومية، أو كما عرفه روبرت ميرتون بأنه عبارة عن تشخيصات مؤقتة لماهية النسق، قد تفترض علاقات معينة بين المتغيرات من أجل إجراء البحث الإمبريقي، ويصاغ النموذج في حالة غياب النظرية أو في حالة عدم توافرها فيما يتعلق بنطاق إمبريقي معين، وتعتبر النماذج عوامل أساسية في عملية التحليل، ويتمثل الأمر الأكثر أهمية للنماذج بأنها تمدنا بالتقديرات المبدئية التي يمكن أن نختبرها، والتي يمكن أن نصوغ النظريات ذات القيمة التفسيرية الأخرى (Merton , 1968:13-14).

أما النموذج التوجيهي فهو إطار يتشكل من بعض المفاهيم، يصوغه الباحث لكي يستخدمه في تناول الإجراءات والتحليلي لمعطيات الواقع، وهو يعمل كما أكد ميرتون على منع الاستطراد اللغوي، وأيضاً عدم الاحتواء على مفاهيم ضمنية، بالإضافة لأنه يشكل أساساً تبني عليه التفسيرات التالية ومن ثم فهو يساعد على تراكم المعرفة، إضافة إلى ذلك أنه يقترب بالتحليل الكيفي من دقة التحليل الكمي.

أما الإطار التصوري فهو عبارة عن مجموعة المفاهيم التي يختارها الباحث إرادياً لكي يحدد نطاق تفسيره وحصره للمتغيرات، لكونه يتكون من مجموعة من المفاهيم المتسقة والمترابطة فيما بينها ترابطاً واتساقاً منطقياً؛ ولذا فهو يختلف عن النموذج التوجيهي من حيث كونه يحتوي على مفاهيم أكثر من المتغيرات النظرية لكن على المستوى التصوري (Douglas,2009).

انطلاقاً مما سبق فإن النموذج التوجيهي والإطار التصوري هي نماذج يلجأ إليها الباحثون في حالة غياب النظرية أو نقصها أو عدم استيعابها لكافة متغيرات الواقع، وهي أيضاً تعتبر الأساليب الموصلة إلى بناء النظرية. وعليه يمكن القول: إن نموذج التفاعلات

الحضارية كنموذج نظري توجيهي هو إطار ذهني مكون من مجموعة من المفاهيم المتشابهة والمتفاعلة، بينها علاقات متبادلة تعكس طبيعة التفاعلات الحضارية في العالم الواقعي.

### ٣- التفاعلات الحضارية:

يرى محمود مسفر إن التفاعل الحضاري هو الذي يوجهنا كأمة لفتح عقولنا على عالم اليوم المتحضر للتحرك الدائم والمتجدد باستمرار لكسب ما لديه من علم متقدم وتكنولوجيا متطورة نأخذ منه ونعطي ونسهم ونتجاوب؛ إن التفاعل الحضاري هو القدرة على تبني أساليب الحضارة المعاصرة أو إبداع البدائل (مسفر، ١٩٨٠: ١٨-١٩).

ويعرفه محمد حسن المذكور في محمد السعيد (٢٠٠٤)، إن التفاعل الحضاري ليس في حقيقة الأمر سوى امتداداً لأسس للتفاعل والحوار بين الأديان وربما نتيجة من نتائجه، وعملية التفاعل بين الحضارات ليست أمراً مطلقاً (السعيد، ٢٠٠٤: ١٠٩-١١٠). وعرفه "السيد يس" بأنه عملية تاريخية تحاول - بناء نوع من التوافق، عن طريق التراضي، بين الأطراف الحضارية الكبرى في العالم لصياغة قيم مشتركة، تكون أساساً لإدارة المجتمع العالمي، في عصر تقاربت فيه المسافات بين الدول والمجتمعات والثقافات، بتأثير العولمة وثورة الاتصالات الكبرى (يس، ٢٠٠٤: ٣٦). بينما عرفه محمد السعيد، بأنه عملية تفاعل بين طرفين، وتتوقف على عنصر الندية بين الأطراف المتفاعلة وإن هذه الندية تتنوع ولا تمنح، بمعنى تعتمد على قدرة ممثلي الحضارات المختلفة خصوصاً الحضارات التقليدية التي تحاول أن تتجدد في الوقت الراهن بالمجتمع العالمي الجديد (السعيد، ٢٠٠٤). أما عمرو الشوبكي فيرى أنه عملية تفاعل تحدث في وسط بيئة سياسية واجتماعية بين طرفين أو مجموعة من الأطراف يسعى كل منهما إلى تأكيد وجوده مع الأطراف الأخرى الجديدة، ولكن مع إبراز اختلافه وتباينه (الشوبكي، ٢٠٠٤). ويرى "علي ليلة" أن التفاعل الحضاري بين الذوات والحضارات شكّل نقطة انطلاق لغالبية الاهتمامات الفكرية على امتداد التاريخ الإنساني، وأن هذا التفاعل يجب أن يتميز بالعقلانية والالتزام بالقواعد الأخلاقية والتأكيد على المساواة بين أطراف

النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة

التفاعل، وإلغاء تدخل العواطف في التفاعل والحوار، وكذلك التحيزات المستندة إلى الأنانية والمصلحة (ليلة، ٢٠٠٦: ٣٢).

وعرفه نيرا شاندهوك "Neero Chandhoke" بأنه علاقة بين طرفين أو مجموعة من الأطراف تعكس نمط الحياة اليومية، ولا تتم إلا بين المجتمعات الديمقراطية، فالهيئات والجماعات والدول الديمقراطية هي وحدها التي تتيح وتسمح بقيام تفاعل وتعايش بين وجهات النظر المختلفة والمتباينة، وأن هذا التفاعل يعتمد على التفكير والجدل الأخلاقي (Chandhoke, 2009:10-11). وعرفه جون إسبوزيتو "John Esposito" بأنه عملية تتم بين مجموعة من الأطراف قد تكون جماعات أو دول، وتأخذ عملية التفاعل هذه اتجاهين إما اتجاه الصراع أو اتجاه الحوار، ولا بديل عن اتجاه الحوار؛ لأن العولمة حقيقة واقعة، والعولمة عملية تفرض التعايش وليس الصراع (Esposito, 2010:2-4). أما جورج نيلسون "Jorgen S Nielsen" بأنه عملية تعايش تتم بين جماعات من البشر يشتركون في الهوية وفي الإقليم ويتمتعون بالحق في أن يجمعهم مصير سياسي مشترك في شكل دولة ذات سيادة (Nielsen, 2013:4-6).

ومما سبق أمكن القول: إن التفاعلات الحضارية هي عملية تكاملية تتم بين طرفين أو أكثر، تمتاز فيها عناصر شتى كالتعايش والحوار والتسامح والثقة والعقلانية والالتزام والمساواة وإلغاء التحيزات وقبول التنوع والتعدد في كافة المستويات، لتؤدي في النهاية إلى حالة من الانسجام والتناغم والحوار، أو إلى حالة من عدم الانسجام والصراع. وهذه العملية ليست عملية عشوائية لا إرادية، ولا هي ضرب من ضروب الترف الفكري، وإنما هي فعل ينتج من التقاء إرادتين أو أكثر تسعيان إلى تبادل التأثير في سياق المحيط الاجتماعي باختلاف أنظمتها وتشعب ضوابطه وفي ظل سيادة الدولة.

ومن هذا التعريف المجرّد أقدم تعريفاً إجرائياً للتفاعلات الحضارية فيما يلي:



١- إن التفاعلات الحضارية عملية تكاملية تتم بين طرفين أو أكثر، قد تكون الأطراف أفراداً، أو جماعات، أو دولاً (أي إن جوهر عملية التفاعل ووحدة تحليها هو الإنسان).

٢- إن التفاعلات الحضارية تعني احترام التعددية الثقافية لجميع الشعوب انطلاقاً من حقيقة تمايز البشر من حيث الدين واللون والعرق والعرف والثقافة، والإقرار بأن التنوع الإنساني مصدر إثراء للوجود الحضاري.

٣- إن التفاعلات الحضارية تعني تجنب الأفكار المسبقة، وقبول الآخر كما يقدم نفسه وقبول خصوصياته.

٤- إن التفاعلات الحضارية البناءة تشجع مبدأ التعايش والحوار والتسامح والديمقراطية.

٥- إن التفاعلات الحضارية المهادفة تحتكم إلى مبدأ العقلانية في التفاعل، وتغليب الأسلوب العلمي على الأسلوب العاطفي والانفعالي وممارسة النقد الذاتي.

٦- إن التفاعلات الحضارية عملية إرادية منظمة وليست عشوائية، تتم في إطار السياق البيئي الاجتماعي السياسي الثقافي الاقتصادي الديني وفي ظل سيادة الدولة.

#### رابعاً- مراحل تطور النظرية الاجتماعية:

بالتتبع التاريخي للمشروع الحدائى للنظرية الاجتماعية، نجد أنها قد مرت بأربعة مراحل تطور ودخلت في الآونة الأخيرة أو بالأحرى في عصر العولمة طور المرحلة الخامسة التي لم تكتمل بعد (Coleman, 1990:18-20)، هذه المراحل الخمسة هي:

**المرحلة الأولى:** يمكن تسميتها بمرحلة التأسيس الأكاديمي التي اشتقت تعميماتها حول الواقع الاجتماعي من الروافد الفلسفية السابقة عليها، وعكست هذه المرحلة الأنساق النظرية الكبرى كالكونتية، والماركسية والدوركيمة والفيبرية.

**المرحلة الثانية:** تعكس التوجه النقدي داخل المشروع الحدائى للنظرية السوسولوجية؛ فقد استهدفت إخضاع التعميمات والمقولات النظرية ذاتها لعمليات من

التحليل والنقد، سواء اتخذ هذا النقد طابعاً أكاديمياً أو إيديولوجياً، ودخلت النظرية الاجتماعية مرحلة جديدة هي مرحلة النظريات المتعددة أو المدارس الاجتماعية التي تحتوى كل منها على عدد من النظريات التي تتميز بطبيعة واحدة كالمدرسة الوظيفية التي تضم نظريات دوركايم، وميرتون... إلخ، أو مدرسة الصراع التي تضم الماركسية... إلخ؛ وقد حاولت كل نظرية من هذه النظريات إعادة اختبار قضاياها من خلال البحث الواقعي والإمبريقي لتطور هذه القضايا، وتوسع في ذات الوقت من نطاق بنائها النظري ليستوعب قضايا من النظريات الأخرى مثل ما فعل روبرت ميرتون عندما حاول تدعيم نظريته الوظيفية عن طريق استعارته لبعض المفاهيم الأكثر تجانساً مع مفاهيم الصراع مثل مفهوم التناقض، ومفهوم الأداء الوظيفي المعوق، والأداء الوظيفي المتعدد، والوظائف البديلة والوظائف الكامنة.. بحيث جعل الاتجاه الوظيفي قادراً على تناول قضايا الصراع والتغير أو ما فعله منظرو المدرسة النقدية وبخاصة فرانكفورت واتجاههم إلى استخدام أدوات البحث الميداني، ليس هذا فحسب بل ومحاولة كل نظرية إثبات زيف قضايا النظريات الأخرى أو المضادة ليس من خلال المنطق الإيديولوجي؛ ولكن من خلال ممارسة علمية، مثل ما فعل س. رايت ميلز في انتقاداته للبارسونزية، أو برهنة تالكوت بارسونز على رؤية ماركس المختزلة للصراع. (Collins, 1981).

**المرحلة الثالثة:** وهي تلك التي اجتازها المشروع الحدائى ويمكن تسميتها بمرحلة المراجعة النظرية، فقد سعت إلى الاستفادة من منجزات المرحلتين السابقتين بهدف تأسيس مجموعة من التعميمات التي تشكل مواضع اتفاق من قبل مختلف النظريات السوسيولوجية. وقد قدمت محاولات متنوعة من أجل الوصول إلى الالتقاء بين هذه النظريات العديدة والمتنوعة، وتجلت هذه المحاولات في

البحث عن نقاط ومناطق الالتقاء بينها ومحاولة التوفيق بينها، لتأسيس بناء نظري جديد يتضمن أفضل ما بهذه النظريات، كمحاولة فان دنبرج للتأكيد على التكامل بين تنظيم الصراع الماركسي وتنظيم التوازن الوظيفي. وعلى الرغم من هذا الدمج الصوري إلا أنها ظلت عاجزة أمام تطور وتنوع التفاعل الواقعي، ولذا ظهرت المرحلة الرابعة.

**المرحلة الرابعة:** تعكس إرهاصات اتجاه ما بعد الحداثة، وقد اتخذت موقفاً راديكالياً ترفض في إطاره كل المنجزات النظرية السابقة تحت دعوى عجزها عن تقديم فهم حقيقي لمشكلات مجتمع ما بعد الصناعة (عبد العال، ٢٠٠٦: ٩-٢٠).

**المرحلة الخامسة:** هي المرحلة التي لم تكتمل، وهي تعكس التحولات المجتمعية العالمية والإرهاصات الفكرية لعملية العولمة أو على حد قول "Wiley, Stephen B" نظرية العولمة ودورها في التوفيق بين المحلي والعالمي أو بين الخصوصية والكونية على حساب التباعد والانفصال بين القومي والعالمي، وقد أدى ذلك إلى وقوع النظرية الاجتماعية في أزمة - ألا وهي عجزها عن تحديد إطارها المرجعي في هذه المرحلة - وستزداد وطأتها في المرحلة القادمة، مرحلة ما بعد العولمة (Wiley, 2005:86-87).

وعند تأمل مراحل تطور النظرية السوسولوجية؛ نلاحظ أن المراحل الثلاثة الأولى في تاريخ النظرية كانت بمثابة حلقة متصلة للإسهامات قدمت ما أسهم في تحقيق تطور النظرية الاجتماعية، سواء عن طريق التوجيه النقدي أو المراجعة النقدية للتراث، مستندة في إسهاماتها الأساسية خلال هذه الفترة إلى النسق الاجتماعي المعبر عن المجتمع القومي كقاعدة أساسية في التفسير مع استثناء بعض الإسهامات النظرية من ذلك. أما المرحلة الرابعة فكانت أكثرها خطورة وأشدّها وطأة على النظرية السوسولوجية، حيث يمكن النظر إليها باعتبارها مرحلة انقطاع معرفي داخل النظرية، تجلّى بشكل كبير في رفض ما بعد الحداثة للتراث النظري برمته

## النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة

والدعوى إلى هدمه وتقويضه مؤكدة بأن الواقع قد تجاوز مسلماته وأنه قد تجمد عند مرحلة تاريخية معينة، ومن ثم فإن ذلك يفرز معه رفضاً لخاصية التراكم المعرفي والتي تميز العلم عن الفلسفة التي تضم بناءات فكرية لا ينفي أي منها الآخر، وإنما هي تتواجد في نوع من التتابع التاريخي غير المتفاعل (ليلة، ٢٠٠٤: ٣١-٤٠).

ومن ثم فإن ما بعد الحداثة في ضوء هذا التوجه أحدث خلخلة للشواهد العلمية داخل علم الاجتماع ونظريته، والواقع كل ذلك قد أفرزته مجموعة التحولات الواقعية العميقة التي شهدتها مستويات الوجود الإنساني والتي أثبتت تجاوزها للأطر التفسيرية والرؤى النظرية داخل علم الاجتماع، أو بالأحرى أن الواقع المتسارع المتغير بفضل العولمة طرح متغيرات جديدة تجاوزت تنظير الحداثة، وإرهاصات ما بعد الحداثة.

وعند تأمل التحولات العالمية والافتراضات والإرهاصات الفكرية والنظرية لعملية العولمة وما بعد العولمة، وما أفرزته من قضايا وتفاعلات حضارية جديدة؛ نجد أنها أدت في نهاية الأمر إلى تفكيك النسق المرجعي القومي للنظرية الاجتماعية، ومن ثم وقعت في أزمة اختيار إطارها المرجعي في تلك المرحلة أو ما بعدها. وهل سيكون إطارها هو النسق العالمي؟ أم النسق المحلي العالمي؟، أم سيكون النسق الكوني؟، تلك الأنساق التي لم يكتمل تشكيلها بعد، ليس هذا فحسب، بل وما موقف النظرية الاجتماعية من قضايا التفاعلات الحضارية الجديدة؟ وهذا ما دفع للقيام بمحاولة تحديد ملامح خرائط تطور الواقع وتطور النظرية الاجتماعية. فقد نصل من هذه المحاولة إلى طبيعة موقف النظرية الاجتماعية من تلك القضايا.

### خامساً- خرائط الواقع وخرائط التنظير:

إذا أردنا رسم خريطة واقعية لعصر ما بعد العولمة فلا بد لنا أن نبدأ بالبدايات الأولى للعصر الحديث، ونعني مرحلة قيام المجتمع الصناعي وظهور السوق باعتباره وحدة للتحليل لفهم النظام الاقتصادي، والدولة القومية كإطار مرجعي للنظرية الاجتماعية في ذلك الوقت.

وفي هذا المجال تبرز أماننا الدراسة الكلاسيكية، التي أجمع الباحثون في مختلف الدول على اعتبارها المرجع الأساسي لهذه الحقبة، ونقصد بذلك الكتاب الذي ألفه "كارل بولاني" المجري الأصل والذي عاش ودرس في إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، وعنوانه: "التحول الكبير". والذي يشهد على تفرد هذا المرجع إنشاء معهد باسم "كارل بولاني" في الولايات المتحدة الأمريكية، ويتم في الوقت الراهن إحياء أفكاره، وبحث تطبيقاتها في العالم المعاصر (بولاني، ٢٠٠٩).

إن قيام المجتمع الصناعي الذي قدم "بولاني" صورة دقيقة لأسباب نشأته وتجلياته، وقد أكد فيه أن الزمان دار دورته التي انتهت معها حقبة المجتمع الصناعي، وهذه النهاية التي تبناها عالم الاجتماع الأمريكي الشهير "دانيال بل" في كتابه المعروف "المجتمع ما بعد الصناعي، (Bell, 1973) ثم ما لبث أن حدث التحول الكبير الثالث في تاريخ الإنسان وهو ظهور "مجتمع المعلومات العالمي" كنموذج حضاري جديد على أنقاض نموذج المجتمع الصناعي.

وكما كان "بولاني" المنظر الأكبر للمجتمع الصناعي، كان رايت ميلز وجان بودريار ودانيال بل وغيرهم هم المنظرون لمجتمع ما بعد الصناعي، أما "مانويل كاستلز" عالم الاجتماع الأمريكي فيعد المنظر الأكبر لمجتمع المعلومات العالمي، وتجسد ذلك بوضوح في مؤلفه الجامع "العصر المعلوماتي: الاقتصاد والمجتمع والثقافة" الذي صدر في ثلاثة أجزاء، أهمها الجزء الأول وعنوانه "المجتمع الشبكي" The network Society (بادي، ٢٠٠٦: ١٠-١٣).

## النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة

وانطلاقاً مما سبق، ودراسة وتحليل تطور الواقع وتفاعلاته المختلفة، أمكن اقتراح رسم توضيحي لهذا التطور، ويمكن توضيحه في الشكل\* الآتي:



وعليه يارى أن التغيير تمثل في الانتقال من المجتمع البدائي إلى الزراعي والاقتصادي، ثم إلى المجتمع الصناعي، انتقالاً إلى المجتمع ما بعد الصناعي، ثم إلى مجتمع المعلومات العالمي والكوني - فكل نموذج مجتمعي أفرز تنظيره الخاص به - الذي تخلق أمام أبصارنا على أنقاض ما بعد الحداثة، ذلك المشروع النقدي الذي كان للعمولة دور مهم في بزوغه وهدمه أيضاً، أو بالأحرى الذي نقلنا الآن من مفهوم السوق، والدولة القومية، الذي كان علامة في المجتمع الصناعي إلى مفهوم الفضاء المعلوماتي cyber space الذي هو علامة على مجتمع المعلومات العالمي (يسن، ٢٠٠٦: ٣١).

وانطلاقاً من تحليل أعمال كل من "كارل بولاني" التحول الكبير، والمنظرون "س. رايت ميلز، وجان بودريار، ودانيال بيل" للمجتمع ما بعد الصناعي، والعصر المعلوماتي لـ "مانويل

\* جميع الرسومات والأشكال بالدراسة من إعداد الباحث.

كاستنز"، يمكن القول: إنه لا يوجد خلاف بأن هناك عالماً جديداً تشكل أمام أنظارنا؛ أي واقع اجتماعي جديد، ومن ثم نحن بحاجة إلى نموذج نظري جديد ملائم لدراسة وتحليل قضايا هذا الواقع، ومن هنا تأتي أهمية تحديد خرائط التنظير الاجتماعي داخل النظرية الاجتماعية.

بعد عرض خرائط الواقع أمكن القول: إن النظرية الاجتماعية عند نشأتها وتطورها في المرحلة الأولى الكلاسيكية كان لها إطار مرجعي واحد ألا وهو الدولة القومية، باستثناء بعض المقولات النظرية، ومع تغير النسق القومي وسقوط تماسكه وتغيره في بعض الأحيان أدى إلى ظهور أنساق اجتماعية جديدة بأطر مرجعية عديدة بدلاً من إطار مرجعي واحد، ومن ثم شكل هذا الأمر عبئاً ثقيلاً على تطورها، وعلى تحديد إطار مرجعي محدد لها في الآونة الراهنة، كنظريات العلوم الطبيعية، أو بالأحرى شكل هذا الأمر أزمة للنظرية الاجتماعية بصفة خاصة وعلم الاجتماع بصفة عامة؛ ألا وهي عجزها عن تحديد إطار مرجعي محدد لها في عصر العولمة. هل سيكون إطارها المرجعي هو النسق العالمي المسيطر، النسق المحلي العالمي، أم النسق الكوني الشامل، أم سيتخلق فراغ بين هذه الأنساق لاستعادة النسق القومي المتراجع (بيومي، ٢٠٠٨: ٥-١٠).

ويمكن الإجابة على هذه التساؤلات على النحو التالي:

لا زال يصير الكثيرون على أن أفكار رواد علم الاجتماع ونظرياتهم الشاملة مازالت هي ذاتها التي تشكل جوهر علم الاجتماع، مهما بلغت نظريات علم الاجتماع من تطور يواكب تطور الواقع الاجتماعي أو حتى الواقع الافتراضي وما أفرزه من قضايا وظواهر اجتماعية جديدة في عصر العولمة، وعلى الرغم من أن آراء هؤلاء الرواد (على سبيل المثال كارل ماركس وإميل دوركايم وماكس فيبر) كان فيها قدر كبير من الانفتاح بصورة عامة على ما يسمى الآن بالعالمية أو الكونية، فإن نظرياتهم وأفكارهم الإيديولوجية لم تعد مناسبة لتحليل وتفسير الواقع الاجتماعي الجديد وما أفرزه من قضايا اجتماعية جديدة، إلا قليلاً من أفكارهم التي طورت

لكي تتماشى مع الواقع الاجتماعي الجديد، ويعود هذا التراجع إلى تغير النسق المرجعي في عصر ما بعد العولمة عن النسق المرجعي في المرحلة الكلاسيكية (روبرتسون، ٢٠١٠: ٢١٨).

ونظراً لأن القرن العشرين كان بمثابة فترة فريدة في التاريخ الثقافي للعالم، فقد ودع البشر ذلك العالم الذي كان يتكون من قطع منفصلة ذات حواف صلبة جيدة التحديد - النسق القومي - فقد أصبح العالم عالماً شاملاً يمجج فيه التفاعل والتبادل الثقافي والاقتصادي، وما نراه الآن ليس سوى صرح مبني بصرامة دون تناسق أو تماثل بين المراكز والأطراف؛ إذ تأخذ المراكز من الأطراف أكثر مما تعطي، بيد أن الوضع لم يستمر طويلاً على هذا الوضع بل حدثت تطورات وتحولات داخلية وخارجية، عالمية ومحلية، أدت إلى تراجع كل ما هو قومي مقابل تقدم وهيمنة كل ما هو عالمي وكوني، وأبرز هذا الواقع الاجتماعي نظريات اجتماعية جديدة أبرزها مدرستا التحديث والتبعية فكانت بمثابة جسر العبور بالتنظير الاجتماعي من النسق القومي إلى النسق العالمي، وساعد على هذا التحول مجموعة من الظروف والعوامل أهمها تحول النظام الدولي من نظام ثنائي القطب إلى نظام أحادي القطب، ثورة المعلومات وشبكة الاتصالات الدولية، بالإضافة إلى بزوغ مؤسسات المجتمع المدني العالمي، وأخيراً العولمة والدعوة إلى تجانس علمي جديد (Choudhary, 2004:1-11).

وإذا كان واقع ما بعد الصناعة شكل هيكلاً اجتماعياً فقدت فيه الملكية الخاصة ومصالح الطبقة والصراع الطبقي ما كان لها من مركزية كمبادئ محورية في مجتمع الحداثة، فإن العولمة والحركات الاجتماعية والظروف الفكرية وثورة المعلومات قد لعبت دوراً في قيام البناء الاجتماعي لمجتمع ما بعد الحداثة حول محور المعرفة العلمية، ومن ثم أفرز ذلك وجوداً وواقعاً اجتماعياً مختلفاً عن ملامح الواقع الاجتماعي لمجتمع الحداثة، ومن ثم فإن التفاعل بين ما أفرزته العولمة من تحولات تقود إلى إعادة هيكلة البنية الاجتماعية للمجتمعات، ومع ما نتج عن الحركات الاجتماعية من فكر يدفع في اتجاه التغير، قد أنتج تأكيداً شتمل في داخله على عجز النظريات السوسولوجية الكبرى الكلاسيكية عن فهم وتفسير ما يحدث في الواقع، وأيضاً زعزعة الثقة في مثل وقيم الحداثة، كل ذلك ولد مستوى أعمق من التحولات



تجسد بوضوح داخل البناء الفكري لعلم الاجتماع بظهور جدل ما بعد الحداثة (بإدى، ١٠: ٢٠٠٦-١٣).

ولذلك فإن تزايد استخدام ما هو عالمي من قبل ما هو محلي، أو العكس، يعد دليلاً على بزوغ الدراسات المتخصصة في هذا المجال - المحلي والعالمي، فعلى سبيل المثال نجد أن كلمة عالمي قد ذاعت وأصبحت تستخدم دون تعريف أو تفسير في المواضيع التي شاع فيها سابقاً كاستخدام عبارات مثل: على نطاق عالمي أو كوني، أو في كل مكان، أو محلية العمولة، فقد كان للعمولة تأثير واضح في بزوغ العالمي والمحلي على كل ما هو قومي (عزيز، ٧: ٢٠٠٠-٩).

لقد أدت تلك التغيرات الواقعية والفكرية على كافة مستويات الوجود الإنساني في نهاية الأمر إلى تراجع كل ما هو قومي وبزوغ ما هو محلي وعالمي، ليس على مستوى الواقع بل على مستوى الفكر أيضاً؛ فقد تراجع التنظير الاجتماعي المتعلق بالنسق المرجعي القومي بفعل التفاعل الدينامي بين المحلي والعالمي؛ ولذلك أصبح النسق المحلي العالمي إطاراً مرجعياً جديداً للنظرية الاجتماعية في عصر العمولة، والنسق الكوني لعصر ما بعد العمولة. وتبقى الإجابة على تساؤل الدراسة بعد؛ موقف النظرية الاجتماعية من التفاعلات الحضارية عبر هذه الأنساق.

استناداً إلى ذلك تم تحديد ملامح خرائط التنظير الاجتماعي كمحاولة علمية على النحو التالي:

الخريطة الأولى: نظريات حديثة كنظريات تقليدية قديمة (الكلاسيكيات الكبرى).

الخريطة الثانية: النظريات الخاصة أو المحدودة النطاق (نظريات متوسطة المدى).

الخريطة الثالثة: المداخل والنماذج النظرية المرتبطة بعملية العمولة.

الخريطة الرابعة: التنظير الاجتماعي المتعلق بالمجتمع المدني، والمجتمع الافتراضي.

الخريطة الخامسة: التنظير الاجتماعي المرتبط بالتفاعلات الحضارية.

وبتأمل تلك الخرائط يتضح منها تعدد الأطر المرجعية للنظرية الاجتماعية ذات الإطار الواحد بفعل تطور الواقع الاجتماعي وتنوعه؛ ولذا بدأ موقف النظرية الاجتماعية يأخذ شكلاً ودوراً مغايراً، عما كان عليه في المرحلة الكلاسيكية. عند دراسة تلك الأطر الواقعية أو بمعنى أدق عند دراسة ومعالجة قضايا الأنساق الاجتماعية الجديدة مثل المجتمع المدني العالمي، ونسق المجتمع الافتراضي، النسق الحضاري العالمي..... إلخ.

حيث اتضح دورها في معالجة قضايا المجتمع الافتراضي في السوسيولوجيا الغربية عن العربية، عندما صك "هاورد رينجولد" كتابه المجتمع الافتراضي *Virtual community*، والذي أشار فيه إلى المجتمعات الآن لم تعد تتحرك على الصعيد المكاني، ولكن توجد جماعات وأفراد ومجتمعات تتشكل على الساحة العالمية عبر الفضاء المعلوماتي. ونجح هذا المجتمع في تطوير ثقافته ومنظومة القيم المحركة لتفاعلاته وقضاياها من خلال الثقافة السيبرية (Rheingold, 1993).

بينما تجلّى موقفها ودورها في معالجة قضايا المجتمع المدني العالمي في السوسيولوجيا الغربية، والعربية - كقضايا العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان والمواطنة وتمكين المرأة وعمالة الأطفال، والشرعية العالمية... إلخ- وتعد إسهامات المفكر الإيطالي "أنطونيو جرامشي" من أبرز الإسهامات الغربية التي تحققت في القرن العشرين حول تطور المجتمع المدني (Chakraborty, 2016)، وأيضاً بالسوسيولوجيا العربية توجد كتابات جمة.

وعلى العكس تماماً فلم تحظ قضايا التفاعلات الحضارية بالنسق الحضاري العالمي باهتمام منطري علم الاجتماع، مثل ما حظيت به من اهتمام مفكرى العلوم السياسية والتاريخ، وبعض رجال الدين، فبعد قراءة الأدبيات السوسيولوجية تبين أن الكتابات والمعالجات النظرية المباشرة لهذه القضايا قليلة للغاية في السوسيولوجيا الغربية والعربية على حد سواء. فلا توجد سوى أعمال عالم الاجتماع "نوربرت إلياس" Norbert Elias بكتابه الشهير

"THE CIVILIZING PROCESS"، والكتاب المعنون بـ "حوار الحضارات" للسيد يس، ومؤلف "على ليلة" تفاعل الحضارات بين إمكانية الالتقاء واحتمالات الصراع. ومن هنا يمكن القول بأن قضايا التفاعلات الحضارية والنسق الحضاري العالمي لم تحظ بالمجتمع المدني والافتراضي باهتمام منطري علم الاجتماع المعاصر، ومن ثم على المهتمين بحقل النظريات الاجتماعية بخاصة وعلم الاجتماع بعامة؛ العمل على اشتقاق وصياغة مداخل نظرية اجتماعية جديدة لعصر صدام الحضارات. وهذا كان دافعاً لتقديم محاولة علمية لبناء نموذج نظري جديد. ولكن هل التفاعلات الحضارية وقضاياها تصلح بأن تكون مجالاً للنظرية الاجتماعية؟

### سادساً- التفاعلات الحضارية كموضوع للتنظير الاجتماعي:

تعد قضية حوار وصراع الحضارات من أكثر القضايا إثارة للقلق والجدل في معظم دول العالم المتقدم وغير المتقدم في الوقت الراهن؛ نظراً لما تتعرض له الحضارات والدول من اعتداءات ثقافية وسياسية واقتصادية وعسكرية متنوعة من بعضها وعلى بعضها البعض، وأصبحت محل اهتمام كبير في السنوات الأخيرة من قبل علماء السياسة والتاريخ ورجال الدين، والمفكرين، وعدد محدود من علماء الاجتماع، وعقدت بشأنها الندوات والمؤتمرات العديدة، وأجريت حولها البحوث والدراسات في مراكز البحث والجامعات، وبلغ هذا الاهتمام ذروته في الكتابات التي ألفها كل من فرانسيس "فوكوياما" عالم السياسة الذي ألف كتاباً حول: "نهاية التاريخ" و"صامويل هنتنجتون" عالم السياسة الأمريكي الذي كتب مقالاً عن "صدام الحضارات"، تحول فيما بعد إلى كتاب يعالج ذات الموضوع، في إطار ذلك قدم كل منهما افتراضات نظرية حاولا من خلالها التنبؤ بمستقبل الحضارة الرأسمالية وهذا ما أكد عليه "فوكوياما" في كتابه: "نهاية التاريخ"، أو رسم مستقبلها ومستقبل النظام العالمي الجديد وهذا ما أكد عليه "صامويل هنتنجتون" في مقاله: "صدام الحضارات"، وأصبح واضحاً أن

علمنا يخضع لتفاعلات حضارية جديدة تدعمها وتعمل على نشرها القوة العالمية في عالمنا المعاصر (هنتجتون، ١٩٩٨: ٧٣-٧٥).

وإذا كان تفكير القرن التاسع عشر ذا طبيعة سلامية وموضوعية فيما يتعلق بالتفاعل بين الحضارات، واتضح ذلك من قراءة نظريات كل من الفيلسوف الألماني أوزولد شبنجلر، والمؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، وعالم الاجتماع الأمريكي بيترم سرويكن الذين قدموا نظرياتهم في نشأة الحضارة وتطورها أو ازدهارها ثم تراجعها؛ إذ لوحظ أنهم في معالجتهم للحضارات، لم يميزوا بين الحضارات وبعضها البعض، بل تحدد هدفهم بالأساس في بناء نماذج نظرية لفهم الحضارة، يمكن أن تستخدم لفهم مختلف الحضارات؛ ومن ثم لم تكن لديهم نزعة واضحة للتركز حول الذات؛ فقد حاولوا اكتشاف القوانين التي تحكم هذه الحضارات، غير أنهم لم يحاولوا تمييز حضارة على أخرى، ورأوا أن التراث الإنساني هو حوار خلاق بين الحضارات وأن الحضارات متساوية من حيث مكانتها ودورها في التاريخ، كما رأوا أن التاريخ الإنساني هو تتابع عضوي بين الحضارات، من خلاله تقدم كل حضارة أفضل إبداعاتها للحضارات التي سوف تعقبها خلال حركة التاريخ، لقد تحلى هؤلاء المفكرون بقدر أكبر من الموضوعية ومن ثم أصابوا في توقعاتهم قدراً كبيراً من كبد الحقيقة (شبنجلر، ١٩٦٤: ٢١٦-٢١٧).

وعلى خلاف ذلك نجد أن تفكير القرن العشرين كان ذا طبيعة صراعية بالأساس وبخاصة في نصفه الثاني، ولا ترجع طبيعة هذا الصراع إلى التراكم العلمي الذي تحقق تاريخياً بتنظير الحضارات، ولكنها ترجع إلى الظروف العالمية المعاصرة بالأساس، ومن هذه الظروف اختيار الاتحاد السوفيتي مع بداية العقد الأخير للألفية الثانية، وتداعياته الاجتماعية العديدة، وهيمنة الكتلة الرأسمالية بقيادة أمريكا وفرض نموذجها الحضاري ولو بالقوة العسكرية ونرى تداعياته من تدمير دول وتصاعد قضايا العنف والإرهاب، إضافة إلى ذلك التقدم الذي تحقق في تكنولوجيا الاتصال والإعلان والمعلومات في المجتمع العالمي الجديد الذي أصبح بحق قرية صغيرة تقلص مكانها وزمانها، ونتيجة لهذا الانكماش لعالمي المكان والزمان وربط ما هو محلي بما هو عالمي، برزت الحضارات في زمان محدود ومكان محدود، بما يتجاوز قدرات البشر على

استيعاب متضمنات وعناصر هذا التطور، الأمر الذي أدى إلى تراجع مفكري كل حضارة إلى الارتباط بحضارتهم برغم أنهم تعرفوا على جوانب عديدة من الحضارات الأخرى واستوعبوا بعض جوانبها (أوغلو، ٢٠٠٦: ١١٧-١١٩). وهذا ما أكد عليه أيضاً عالم الاجتماع نوربرت إلياس Norbert Elias في كتابه: (عملية الحضارة) بأن العالم قد شهد في تاريخه الطويل حضارات كثيرة، تفاوتت في قوتها وتأثيرها، وامتداد حياتها الزمانية والمكانية بحسب قوة الأمم التي أبدعت تلك الحضارات وعاشت في كنفها، وأسهمت في تطورها، والتمتع بثمراتها، وقد قامت العلاقات بين هذه الحضارات في ذلك شأن العلاقات بين المجتمعات الإنسانية على أسس التنافس والتعاون بحسب تقارب المصالح أو تناقضها. ومن هنا برزت ظاهرة الصراع بين الحضارات كما برزت ظاهرة الحوار والتفاعل الحضاري بينها. ولم تنحصر العلاقة بين الحضارات في هذين البعدين المتناقضين؛ إذ كثيراً ما يحدث تداخل بين هذين البعدين في العلاقة بين الحضارات، فهي دائماً في حالة تجاذب وتنافر، تعاون وتصادم، أخذ وعطاء وفقاً لمتطلبات السلطة (Elias, 1939). ويبدو أن العامل المركزي الذي يحكم العلاقة بين الحضارات هو سعي أبناء كل حضارة إلى تأكيد بأن حضارتهم هي الأرقى وهي الأفضل، وأنها تمثل خلاصة لتجربة إنسانية شاملة، ومن ثم فهي الأحق بقيادة عالمها (ليلة، ٢٠٠٦).

وانطلاقاً مما سبق أمكن القول: إن موضوع التفاعلات الحضارية وما أفرزته من قضايا اجتماعية همة، لاتسع الدراسة لذكرها، تصلح لأن تكون مجالاً خصباً لعلم الاجتماع بعامة والنظرية الاجتماعية بخاصة، نظراً لأنها تحتاج إلى معالجات سوسولوجية نظرية وتطبيقية، وكان ذلك دافعاً لتقدم محاولة علمية لنموذج التفاعلات الحضارية كمدخل نظري توجيهي. على أمل أن يكتمل هذا النموذج ومن ثم نستطيع استخدامه والاسترشاد به في تحليل ودراسة قضايا التفاعلات الحضارية المعاصرة.

### سابعاً- نموذج التفاعلات الحضارية: مكوناته وعمليات بنائه:

يعد النموذج النظري نظرية غير مكتملة البناء، يلجأ إليه عادة في حالة غياب النظرية مكتملة البناء، وفي العادة يتأسس النموذج النظري، إما لوصف وتحليل وتفسير أحد جوانب المجتمع أو أحد نظمه أو ظواهره، ويظل النموذج يتسع من خلال تفاعل قضاياها مع الواقع، أو الإضافة المنظمة إلى قضاياها، حتى يتحول إلى نظرية شاملة للمجتمع قادرة على تفسير مختلف جوانبه.

استناداً إلى ذلك فإن الحالة القاعدية أو الإيجابية أن يتحول النموذج إلى نظرية، أما الحالة السلبية أن تتحول النظرية في حركة عكسية إلى نموذج. وذلك يحدث في حالتين:

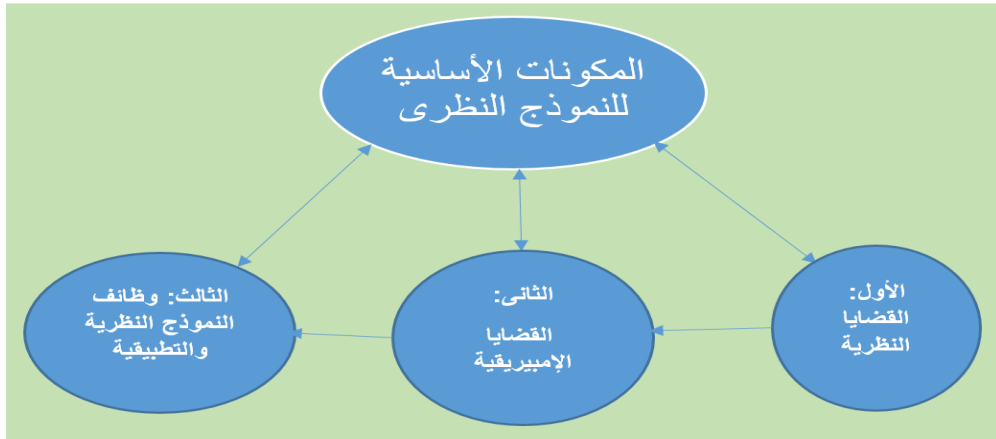
الأولى: أن تظل النظرية على ذات المقولات أو القضايا التي شكلت بناءها ومن ثم تجد نفسها تعمل بقضايا ومتغيرات قديمة تجاوزها الواقع، وما حدث للنظرية الماركسية يعد خير مثال على ذلك، فقد أفسد تحرك الواقع عدداً من قضاياها، كقضية فائض القيمة، أو البناء العضوي لرأس المال، أو غياب البروليتاريا بالمعنى الماركسي باعتبارها الفاعل الثوري القادر على التغيير (ليلة، ٢٠٠٥، ٩٣-٩٥).

الحالة الثانية: يطرح الواقع متغيرات جديدة لم تستطع بنية النظرية استيعاب القضايا المتعلقة بها، ومن ثم تتراجع النظرية وتصبح مجرد نموذج نظري قادر على التعامل العلمي مع بعض متغيرات الواقع فقط. ويعد التغيير الذي طرأ على النظرية الماركسية نموذجاً لتحول الحالة من النظرية إلى نموذج.

بناء على ما سبق فإن حركة التغيرات الواقعية والفكرية على كافة مستويات الوجود الإنساني، أدت إلى تراجع كل ما هو قومي وبزوغ ما هو محلي وعالمي وكوني، ليس على مستوى الواقع، بل على مستوى الفكر أيضاً؛ وقد أدت هذه التغيرات إلى تراجع دور النظريات الاجتماعية المتعلقة بالنسق المرجعي القومي بفعل التفاعل الدينامي بين المحلي

والعالمي؛ ولذلك أصبح النسق المحلي العالمي إطارًا مرجعيًا جديدًا للنظرية الاجتماعية في عصر العولمة وما بعد العولمة؛ ولذا تحتاج التفاعلات الحضارية بالنظام العالمي الجديد إلى تأمل جديد من خارج الافتراضات والمسلمات والمقولات الكلاسيكية، وعليه يمكن القول: إننا لا نستطيع في الوقت الراهن الاعتماد على الكيانات النظرية الكبرى كالكونيتية والدوركيمة والماركسية والفيبرية، في دراسة وتفسير ومعالجة قضايا التفاعلات الحضارية المعاصرة، حيث يوجد العديد من القضايا المستحقة التي لم تكن موجودة بحيز الواقع الاجتماعي أثناء ظهور هذه النظريات أو حتى في مرحلة نضجها الفكري. الأمر يحتاج إلى نموذج نظري منظم نستفيد منه في عملية تنظيم المادة الواقعية لتلك التفاعلات وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى مجموعة من القوانين الحاكمة لها (بيومي، ٢٠١٧ : ٢٥٠-٢٦٠).

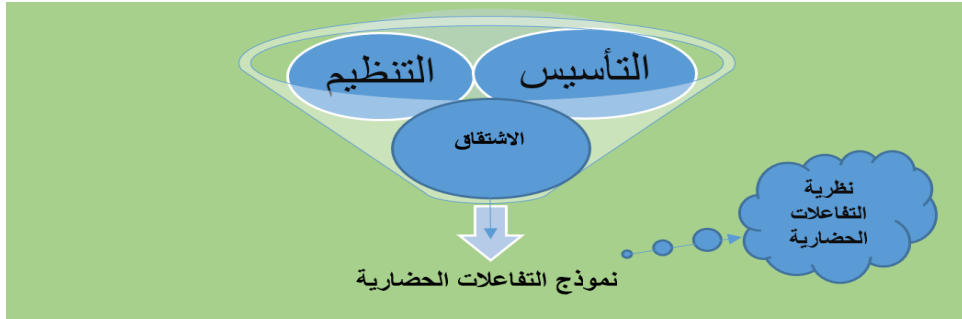
وارتباطاً بذلك أقترح أن يكون النموذج النظري العلمي، خاصة في حقل النظرية الاجتماعية مكوناً من ثلاثة عناصر أساسية يمكن توضيحها في الشكل التالي:



يتضح من الشكل السابق أن أسس أو مكونات النموذج النظري تحددت في ثلاث مكونات هي:

الأول: تمثل في القضايا النظرية للنموذج، أو التوجهات النظرية العامة. بينما تحدد الثاني: في القضايا الإمبريقية. والمكون الثالث: يتعلق بوظيفة النموذج لنسق التفكير العلمي

النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة \_\_\_\_\_  
أو للنظام العقلي الذي ينتمي إليه كإطار له (الجذور الفكرية للنموذج). وبتأمل هذه  
المكونات الثلاث فإننا نجد أنها تعد بمثابة مقدمات منطقية لبناء النظرية العلمية والاجتماعية  
التي يتم تأسيسها كنسق نظري. انطلاقاً مما سبق أقدم محاولة علمية نعرض من خلالها  
عمليات بناء مدخل التفاعلات الحضارية كنموذج نظري جديد، وهي ثلاث عمليات  
رئيسية، يمكن توضيحها في الشكل التالي:



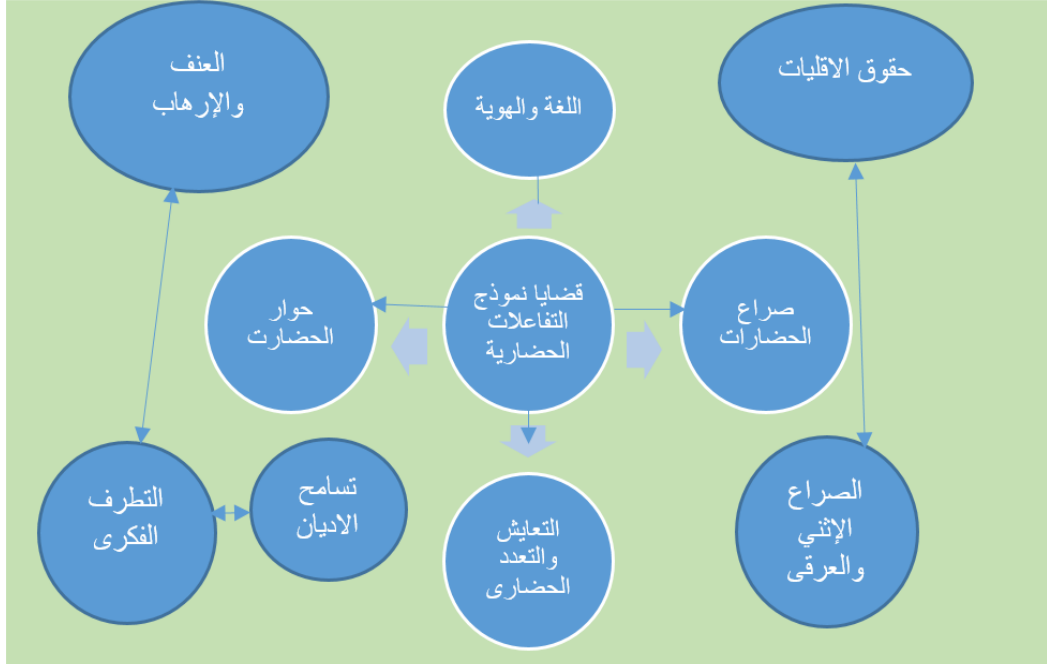
ويتضح من الشكل أن نموذج التفاعلات الحضارية يتطلب ثلاث عمليات هي التأسيس  
والتنظيم والاشتقاق، وسوف أستعرض كلاً منها بإيجاز في الآتي:

### ١- التأسيس:

يعتبر تأسيس مدخل التفاعلات الحضارية جهداً خاصاً يهدف إلى صياغة بعض  
القضايا النظرية باعتبارها مقدمات منطقية قابلة للاختبار الإمبريقي. وتعد عملية التأسيس  
من أهم عمليات بناء النموذج النظري، إذ يعتبر تأسيس النموذج محاولة لإنشائه بدقة، وفقاً  
لخطة يمكن الدفاع عنها بالاستناد إلى فهم واضح للمقولات وللأختلاف بين القضايا  
التحليلية والتركيبية، لذا يتطلب تأسيس النموذج توافر عدد من القضايا النظرية ذات الصلة  
بالمشكلة موضع الاهتمام، وينبغي أن تكون هذه القضايا واضحة ومختصرة (ليلة، ٢٠٠٥،  
٨٦). مؤكداً أن الباحث غير مهتم بإنشاء نظرية جديدة بقدر اهتمامه بإيجاد وبلورة ارتباطات  
جديدة للقضايا النظرية القائمة، بحيث يقود ذلك إلى تفسيرات جديدة ونموذج نظري جديد؛



ومنه قد نصل إلى نظرية جديدة، ويوجد عدد من القضايا النظرية المرتبطة بقضية التفاعلات الحضارية نوضحها في الشكل التالي:



ويتضح من الشكل بروز قضايا الصراع العرقي والإثني والتطرف الفكري والعنف والإرهاب، وتراجع عمليات التعايش وتسامح الأديان وقبول الآخر.... إلخ. ووصلت هذه القضايا وغيرها إلى ذروتها على المستوى المحلى والإقليمي والدولي، فما حدث في البوسنة، والشيشان، وما يحدث في سوريا والعراق واليمن ومصر، وتقسيم السودان، وما حدث في بعض الدول الغربية خير دليل على بروز هذه القضايا. إضافة إلى ذلك فأن التأسيس النظري كعملية أساسية يجب أن تتضمن ثلاث عمليات فرعية أخرى هي:

#### أ- صياغة المفهوم:

تعتبر صياغة المفهوم من المهام الرئيسية لتأسيس النظرية، والمفهوم عبارة عن اسم أو رمز لفئة من الوقائع والأفكار، وقد يكون المفهوم ذا دلالة واقعية تتأسس بالنظر إلى الملاحظات

النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة

الواقعية، أو قد يكون مجرداً بصورة كاملة، وما يهم في عملية التأسيس المفهوم بالمعنى الأول، وهذا ما دفع لتحديد مفتأسيههوم نموذج التفاعلات الحضارية فهو يصلح أن يكون رمزاً لفئة من الوقائع والأفكار النظرية ذات الدلالة الواقعية، واتضح ذلك في التعريف المجرد والإجرائي بالإطار التصوري للدراسة.

#### ب- تأسيس القضية النظرية:

بعد الانتهاء من صياغة مفهوم التفاعلات الحضارية فإن هذا سيؤدى إلى إيجاد أو تشكيل الصلة بينه وبين مفاهيم أخرى في إطار علاقة الحتمية، وتبين أن هذا المفهوم يتصل أولاً بمفهوم اللغة والتعايش والحوار والصراع والهوية والتسامح، وقبول الآخر والتعددية الثقافية، والعقلانية كمفاهيم أخرى تتضمنها عملية التفاعلات الحضارية، في إطار ذلك فإن ما نعيه بالتعايش والحوار والصراع وقبول الآخر والعقلانية كمفاهيم؛ تصبح ذات أهمية قصوى في عملية التأسيس النظري لنموذج التفاعلات الحضارية.

ومن ثم فإن أهمية ملاحظة التفاعلات الحضارية ضرورة، بما فيها من تعايش أو حوار وصراع، أو قبول الآخر وأثرها على البشر والمجتمعات. ومن ثم يكون من نتائجها تأسيس قضية تجريبية تتعلق بالعلاقة بين التفاعلات الحضارية وآليات التفاعل المتبعة في عملية التفاعل، أو بمعنى أدق العلاقة بين التفاعلات الحضارية وأنماطها.

ج- إضافة قضايا نظرية إلى نموذج التفاعلات الحضارية، هل هذا النموذج يقبل قضايا أخرى ذات صلة بموضوعه؟ بالفعل يقبل لأنه قابل للتطور والاتساع، فإذا أضيفت العبارات (إن الآليات المتبعة في عملية التفاعل الحضاري تلعب دوراً في تحديد أنماط التفاعلات الحضارية بالمجتمعات، وإن التفاعلات الحضارية تؤكد بأن التنوع الإنساني مصدر إثراء للوجود الحضاري، إن التفاعلات الحضارية تؤكد على تجنب الأفكار المسبقة وقبول الآخر). فإن هذا سيؤدى لأن المنظر سيجد نفسه مضطراً للبحث عن طبيعة هذه العلاقة لتحديد نوعها، وإن كان لم يلاحظ التأثير، ولكن تم إدراكه من خلال مؤشراتته.

ولذا فالمفهوم المعبر عن هذه العلاقة يعتبر أكثر تجريداً من مفهوم التفاعلات الحضارية والتعايش والحوار والصراع وقبول الآخر. ومن هنا تأتي ضرورة العمل على مستويات متباينة من التجريد، ثم البحث عن العلاقة الكائنة بين هذه المستويات، وعادة ما تشكل الأخيرة البناء المنطقي للنموذج الذي يتكون من مجموعة العلاقات التي تضم هذه المستويات بعضها مع البعض.

انطلاقاً مما سبق فإن التنظير الاجتماعي عامة والنظرية الاجتماعية بخاصة يشهدان عملية مخاض جديدة لنموذج نظري توجيهي يسمى نموذج التفاعلات الحضارية له قضايا ومفاهيم بعضها تمت ملاحظته إمبريقياً وبعضها له طابعه النظري التحليلي. فإذا قلنا: إن مفهوم التفاعلات الحضارية والتعايش والحوار مفاهيم ذات طابع إمبريقي، فإن مفهوم التفوق، أو التقدم يشكل المفهوم النظري في هذا المثال، وعلينا صياغته بطريقة تجعل منه متغيراً، وإن مدى تأثيره يبدأ من الصفر وحتى أقصى مستوى، وحينئذ يكون باستطاعتنا أن نشق فرض -يحتاج إلى الاختبار الإمبريقي والبرهنة- مؤداه: إنه كلما تفوقت الحضارة وتقدم نموذجها الحضاري على النماذج الحضارية الأخرى؛ كلما ازداد سعيها إلى التعايش والتفاعل مع الآخر الحضاري تحقيقاً لمبدأ الوحدة والتنوع والتعدد الحضاري.

## ٢- تنظيم القضايا:

التنظيم كما عرفة "روبرت ميرتون" هو: الترتيب المنتظم والمحكم للتجربة المنظمة والمثمرة التي يتم إنجازها بواسطة إجراءات، وعلى هذا النحو يهدف التنظيم إلى تنسيق التعميمات الإمبريقية المنفصلة، التي تقع في إطارات مجالات متميزة أو تشير إليها. ومن خلال التنظيم للقضايا يتضح لنا قضايا النموذج التي يمكن إغفالها، والقضايا الأخرى التي تصمد أمام البحث الإمبريقي ونبقى عليها، ومن المسلم به التنظيم كإجراء منهجي يكمل الاشتقاق الصوري للفروض التي ينبغي اختبارها بحيث ييسر ذلك السعي الحثيث نحو تأسيس النظرية الاجتماعية الفعالة والبحث الإمبريقي الملائم لها (ليلة، ٤٨: ٢٠٠٥-٥٠).

وفي ضوء ذلك فإن نموذج التفاعلات الحضارية يمتلك عدداً من القضايا الإمبريقية والتعميمات النظرية التي يمكن ترتيبها منطقياً؛ على سبيل المثال: قضية اللغة والهوية، وقضايا التعايش والتعدد والتنوع الحضاري، وصراع وحوار الحضارات، والتنوع الإنساني، وتسامح الأديان والتطرف الفكري، والعنف والإرهاب، والصراع الاثنى والعرقى، وحقوق الأقليات، وقبول الآخر، والديمقراطية، وقضايا العقلانية واللاعقلانية ..... إلخ. أما التعميمات والافتراضات النظرية سأذكرها في عملية الاشتقاق.

### ٣- الاشتقاق:

يعد الاشتقاق عملية ضرورية في بناء النموذج النظري، يهتم أساساً بتأكيد كفاءة النموذج عن طريق إعادة صياغة قضايا النموذج في شكل فروض جديدة تحتاج إلى الصدق والإثبات الإمبريقي وبذلك تتأكد الصلة التي ينبغي أن تكون بين النموذج النظري والبحث الإمبريقي، وتتأكد كفاءة النموذج واستمراره عن طريق إعادة المستمرة لاختبار الفروض المشتقة من بنائه الأساسي. وفي إطار ذلك تم طرح فرض أساسي لنموذج التفاعلات الحضارية مؤداه: إن التفاعلات الحضارية البناءة هي التفاعلات المعتمدة على مبدأ التعايش والحوار والتسامح واحترام الهوية والتعددية والتنوع الثقافي لجميع الشعوب". ومن هذا الفرض تم اشتقاق مجموعة من الافتراضات نذكر منها على سبيل المثال:

- إن التفاعلات الحضارية عملية تكاملية تتم بين طرفين أو أكثر، قد تكون الأطراف أفراداً، أو جماعات، أو دولاً.
- لا توجد تفاعلات حضارية بدون تعددية ثقافية ومن ثم الادعاءات بأن النموذج الغربي للحضارة الغربية أفضل نماذج التفاعلات الحضارية افتراض نظري غير صحيح، فهناك نماذج أخرى عديدة.
- إن التفاعلات الحضارية المتقدمة تقدمت بفعل اعتمادها على مبدأ التعايش والحوار والتسامح والديمقراطية.

- إن التفاعلات الحضارية عملية إدارية منظمة وليست عملية عشوائية تتم في إطار سياق اجتماعي متكامل وفي ظل سيادة الدولة.

- تقوم التفاعلات الحضارية على مبدأ التكافؤ وليس على مبدأ الندية بين الأطراف الحضارية.

وبتأمل هذه الفروض فهي تحتاج إلى إعادة اختبار الصدق والإثبات الإمبريقي، ومن ثم فتح مجال غير تقليدي للدراسات والبحوث في حقل علم الاجتماع بعامه والنظرية الاجتماعية بخاصة.

### ثامناً- نتائج الدراسة ومقترحاتها:

#### ١- نتائج الدراسة:

أ- كشفت الدراسة عن ضعف موقف النظرية الاجتماعية والمنشغلين بها؛ من القضايا الاجتماعية للتفاعلات الحضارية المعاصرة في الأدبيات السوسيولوجية العربية، وتبين عدم وجود محاولات علمية جادة وبصورة مباشرة لمعالجة هذه القضايا نظرياً وتطبيقياً بالدوريات العلمية أو الرسائل العلمية. على عكس العلوم السياسية والدينية.. إلخ، توجد وفرة في الدراسات والأبحاث والمعالجات السياسية والمؤتمرات والندوات والمراكز البحثية المتخصصة في هذا الحقل الخصب.

ب- تؤكد الدراسة على آراء رواد علم الاجتماع (ابن خلدون، كونت، إميل دوركايم، ماركس، ماكس فيبر... إلخ) ونظرياتهم الاجتماعية وأفكارهم الإيديولوجية، لم تعد ملائمة وإن صح التعبير لا يمكن الاعتماد عليها في تحليل وتفسير ومعالجة الواقع الاجتماعي الجديد وما يفرزه من قضايا اجتماعية جديدة وبخاصة قضايا التفاعلات الحضارية. وسرعة تطور الواقع الاجتماعي، وانتقاله من حالة القومية إلى المحلية والعالمية والكونية حول بعض النظريات الكلاسيكية إلى نماذج نظرية، لأنها لم تستطع

مواكبة تطور الواقع من خلال تقديم المعالجات الفكرية الملائمة لهذا التطور، سوى القليل من مقولات تلك النظريات طورت لكي تتماشى مع الواقع، لكن لم تصل إلى مستوى النموذج النظري.

ج- تؤكد الدراسة بأنه يمكن الاستفادة من التصورات والمعالجات الفكرية التي قدمها المهتمون بالدراسات الحضارية بالمرحلة الكلاسيكية، فقد كان تفكيرهم ذا طبيعة سلامية وبخاصة تفكير القرن التاسع عشر، أما المرحلة الحديثة والمعاصرة، فقد تميزت بسيطرة لغة الصراع وتراجع لغة الحوار، وبخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، الاستفادة من هذه التصورات والمعالجات في تأسيس نموذج التفاعلات الحضارية ومقولته الرئيسية: (إن التفاعلات الحضارية عملية منظمة تكاملية تتم بين طرفين أو أكثر، تقوم على مبدأ التكافؤ وليس الندية، والتعددية وليس التفرد، والتعايش والحوار وليس الصراع، واحترام سيادة المتفاعلين).

د- بعد قراءة الأدبيات السوسولوجية أفصحت الدراسة عن ندرة وقلة عدد الكتابات والمعالجات النظرية المباشرة لقضايا التفاعلات الحضارية في السوسولوجيا الغربية والعربية على حد سواء؛ وهذا خالف ما أشار إليه البحث في مشكلة الدراسة عن وفرة الدراسات الغربية وندرة الدراسات العربية. فلا توجد سوى أعمال عالم الاجتماع " نوربرت إلياس " Norbert Elias بكتابه الشهير "THE CIVILIZING PROCESS"، والكتاب المعنون ب "حوار الحضارات" للسيد يس، ومؤلف "على ليلة" تفاعل الحضارات بين إمكانية الالتقاء واحتمالات الصراع. ومن هنا تؤكد الدراسة بأن قضايا التفاعلات الحضارية والنسق الحضاري العالمي لم تحظ كاجتمتع المدني والافتراضي باهتمام منظري علم الاجتماع المعاصر.

ه- أكدت الدراسة على موضوع التفاعلات الحضارية وما أفرزه من قضايا اجتماعية جمّة، يصلح بأن يكون مجالاً خصباً لعلم الاجتماع بعامة والنظرية الاجتماعية بخاصة، نظراً لأنه يحتاج إلى معالجات سوسولوجية نظرية وتطبيقية جمّة، ولذا أفصحت الدراسة عن

أهمية تأسيس نموذج التفاعلات الحضارية كنموذج أو مدخل نظري؛ يتم الاسترشاد بمقولاته عند دراسة وتحليل قضايا التفاعلات الحضارية المعاصرة.

و- أكدت الدراسة على توافر مكونات نموذج التفاعلات الحضارية الثلاثة وهي: قضاياها النظرية والإمبريقية، ووظائفه النظرية والتطبيقية، وأفصحت الدراسة عن عمليات بنائه الثلاثية: التأسيس والتنظيم، والاشتقاق.

## ٢- مقترحات الدراسة:

- أ- يجب على المهتمين بالنظريات الاجتماعية تقديم معالجات فكرية علمية جادة لقضايا التفاعلات الحضارية المعاصرة، وذلك للارتقاء بموقف النظرية الاجتماعية ومواكبتها للتطورات الواقعية بالنظام الكوني الجديد، أو عصر ما بعد العولمة.
- ب- يجب على الباحثين والمتخصصين في علم الاجتماع البحث عن بدائل نظرية جديدة، للاسترشاد بها في تحليل وتفسير التفاعلات الحضارية بعصر ما بعد العولمة، وذلك لأن النظريات الكلاسيكية الكبرى؛ لا يمكن الاعتماد عليها في دراسة وقائع التفاعلات الحضارية المعاصرة. ويعد هذا هو التحدي النظري لبناء نموذج التفاعلات الحضارية.
- ج- تنظيم حلقات عمل وندوات بالجامعات العربية لتحقيق أقصى استفادة من التصورات والمعالجات الفكرية التي قدمها المهتمون بالدراسات الحضارية من التخصصات الأخرى، ومن ثم يمكن إثراء حقل علم الاجتماع بمجال بحثي غير تقليدي به قضايا جمة تحتاج لدراسات علمية نظرية وتطبيقية.
- د- يجب اختبار مقولة نموذج التفاعلات الحضارية: (إن التفاعلات الحضارية عملية منظمة تكاملية تتم بين طرفين أو أكثر، وتقوم على مبدأ التكافؤ وليس الندية، والتعددية وليس التفرد، والتعايش والحوار وليس الصراع، واحترام سيادة المتفاعلين فيها) إمبريقياً، وهذا هو التحدي التطبيقي لبناء هذا النموذج.

مراجع الدراسة:

- ١- السيد يس (٢٠٠٦)، التغيرات الأساسية في بنية المجتمع العالمي منتدى الحوار، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.
- ٢- السيد يس (٢٠٠٤)، حوار الحضارات تفاعل الغرب الكوني مع الشرق المتفرد، القاهرة: دار ميريت للنشر.
- ٣- أحمد داود أوغلو (٢٠٠٦)، العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية، القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية.
- ٤- ألفن جولدنر (٢٠٠٤)، الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي، ترجمة على ليلة، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- ٥- أنتوني جيدنز (٢٠٠٢)، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، القاهرة: مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
- ٦- أوزولد شبنجلر (١٩٦٤)، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، القاهرة: الدار اللبنانية المصرية للنشر.
- ٧- بادى برتران (٢٠٠٦)، انقلاب العالم سوسولوجيا المسرح الدولي، ترجمة سوزان خليل، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٨- جلال أمين (٢٠٠٠)، العولمة، القاهرة: دار المعرفة.
- ٩- رونالد روبرتسون (٢٠١٠)، العولمة "النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية"، ترجمة نورا أمين وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- ١٠- سمير نعيم (١٩٩٣)، النظرية في علم الاجتماع، القاهرة: دار الهاني للطباعة والنشر.



١١- صاموئيل هنتنجتون (١٩٩٨)، صدام الحضارات، ترجمة صلاح فنصوة، القاهرة: سطور.

١٢- على عبد الرزاق جلي، وهاني خميس (٢٠١١)، العولمة والحياة اليومية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

١٣- على ليلة (٢٠٠٥)، بناء النظرية الاجتماعية، الإسكندرية: المكتبة المصرية للنشر.

١٤- على ليلة (٢٠٠٤)، نظرية علم الاجتماع: النماذج الرئيسية، الإسكندرية، القاهرة: المكتبة المصرية.

١٥- على ليلة (٢٠٠٥)، النظرية الاجتماعية: النماذج الرئيسية. الإسكندرية: المكتبة المصرية للنشر.

١٦- على ليلة (٢٠٠٦)، تفاعل الحضارات بين إمكانية الالتقاء واحتمالات الصراع، القاهرة: مركز دراسة الحضارات المعاصرة، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

١٧- عمرو الشويكي (٢٠٠٤)، خبرة المسلمين في فرنسا بين التعايش والاندماج في مسارات وخبرات في حوار الحضارات، القاهرة: مركز حوار الحضارات كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

١٨- فريدا عزيز (٢٠٠٠)، النظام العالمي الجديد والقرن الحادي والعشرون، دمشق: دار الرشيد.

١٩- كارل بولاني (٢٠٠٩)، التحول الكبير (الأصول السياسية والاقتصادية لزمنا المعاصر)، ترجمة محمد الطباخ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

٢٠- مايكل تارنزر (١٩٨١)، من الاقتصاد القومي إلى الإقتصاد الكوني: دور الشركات المتعددة الجنسيات، ترجمة عفيفي الرزاز، ط١، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

النظرية الاجتماعية بين الرؤى التقليدية والتفاعلات الحضارية المعاصرة

٢١- محمد السعيد (٢٠٠٤)، *خبرات الحوار العربي الإيراني والمصري الإيراني*، تحرير نادية مصطفى، القاهرة: مركز حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

٢٢- مصطفى النشار (٢٠٠٢)، *ما بعد العولمة قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري*، في *التقاء الحضارات في عالم متغير*، تحرير عبادة كحيله، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، أعمال الندوة السنوية، ٢٢- ٢٥ - أبريل.

٢٣- محمد بيومي (٢٠٠٨)، *تأثير تغير النسق المرجعي في عصر العولمة على بنية النظرية السوسيولوجية: دراسة تحليلية*، رسالة ماجستير، القاهرة: قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

٢٤- محمد بيومي (٢٠١٧)، *النظرية الاجتماعية في عصر العولمة من الحداثة إلى ما بعد الحداثة*، القاهرة: الأجلو المصرية للنشر.

٢٥- محمود فتحى عبد العال (٢٠٠٦)، *الأسس النظرية والمنهجية لتيار ما بعد الحداثة*، رسالة ماجستير، القاهرة: قسم علم الاجتماع، كلية الآداب - جامعة عين شمس.

٢٦- محمود مسفر (١٩٨٠)، *الحضارة تحداً*، القاهرة: دار نشر لا توجد.

27- Abbate, J. (2000). *Inventing the Internet*. Boston: MIT Press.

28- Bell, D. (1973). *The Coming of Post- Industrial Society. A Venture in Sociol Forecasting*,. New York: Basic Books. Retrieved from

<http://www.forschungsnetzwerk.at/downloadpub/ferkiss.pdf>

- 29- Cairncross, F. (2001). *The Death of Distance*. Boston: Harvard Business School Press.
- 30- Chakraborty, S. (2016). Garmsci's Idea of Civil Society. *International Journal of Research in Humanities and Social Studies*, June, 3(6).
- 31- Chandhoke, N. (2009). *Beyond Secularism: The Rights of Religious Minorities*. UK: Oxford University Press.
- 32- Choudhary, K. (2004). Global Civil Society, Globalization and Nation-State. *Paper presented at the ISTR Conference, Toronto, Canada*. Retrieved from [https://cdn.ymaws.com/www.istr.org/resource/resmgr/working\\_papers\\_toronto/choudhary.kameshwar.pdf](https://cdn.ymaws.com/www.istr.org/resource/resmgr/working_papers_toronto/choudhary.kameshwar.pdf)
- 33- Cole, N. (2017). *Sociology-Globalization*. Retrieved May 11, 2017, from <http://www.thoughtco.com/sociology-globalization>
- 34- Coleman, J. (1990). *Foundations of Social Theory*. Cambridge MA: Belknap Press of Harvard University.
- 35- Collins, R. (1981). *Sociology Since Midcentury*. New York: Academic Press.
- 36- Dahrendrof, R. (1968). *Essay in Theory of Society*. London: Stanford University Press.
- 37- Dixon, K. (1973). *Sociological Theory: Pretence and Possibility*. London: Routledge& K. Paul.

- 38- Douglas, K. (2018). Theorizing/Resisting McDonaldization: A Multiperspectivist Approach. Retrieved from [http://WWW.gseis.Ucla.edu/faculty/Kellner/essays/theorizing- Sept//essy.Pdf](http://WWW.gseis.Ucla.edu/faculty/Kellner/essays/theorizing-Sept//essy.Pdf).
- 39- Dressler, D. (1973). *Sociology: The Study of Human Interaction* (2<sup>nd</sup> ed.). New York: Random House.
- 40- Elias, N. (1939). *The Civilizing Process*. Blackwell Publishing. Retrieved from [http://library.mpib-berlin.mpg.de/toc/z2010\\_1372.pdf](http://library.mpib-berlin.mpg.de/toc/z2010_1372.pdf)
- 41- Esposito, J. (2010). *Islam: The Straight Path* (4<sup>th</sup>ed.). UK: Oxford University Press.
- 42- Habermas, J. (1973). *Theory and Practice* (Translated by John Viertel). London: Beacon Press.
- 43- Himes, J. (1968). *The Study of Sociology: An Introduction*. Glenview Illinois: Scott Foresman & Company.
- 44- Krugman, P.& Venables, A. (1995). Globalization and the Inequality of Nations. *The Quarterly Journal of Economics*, November, 110(4), 857- 880. Retrieved September, 20017, from <http://doi.org/10.2307/2946642>
- 45- Merton , R. (1968). *Social Theory and Social Structure*. New York: The Free Press Gleonce.
- 46- Mitchell, M.& Cropanzano, R. (2005). Social Exchange Theory: An Interdisciplinary Review.

*Journal of Management*,31(6), 874-900,.Retrieved from

[https://media.terry.uga.edu/socrates/publications/2013/05/Cropanzano\\_Mitchell\\_2005\\_SET\\_Review\\_JOM.pdf](https://media.terry.uga.edu/socrates/publications/2013/05/Cropanzano_Mitchell_2005_SET_Review_JOM.pdf)

47- Nielsen, J. (2013). *Muslim Political Participation in Europe*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

48- Rheingold, H. (1993). *The Virtual Community*. Retrieved from

<http://www.scottlondon.com/reviews/rheingold.html>

49- Wallace, R.& Alison, W. (2005). *Contemporary Sociological Theory: Expanding the Classical Tradition*. Upp Sddle River, New Jersey: Pearson Prentice Hall.

50- Wiley, S. B. C. (2006). Rethinking Nationality in the Context of Globalization.*Communication Theory*, 14 (1), 78 – 96. Retrieved from

<https://doi.org/10.1111/j.1468-2885.2004.tb00304.x>

